الخبرة الشعبية في مواجهة الصعوبات الإيكولوجية

دراسة ميدانيّة في عيّنة من صحراء وادي سوف الجزائرية

Popular experience in the face of ecological difficulties A field study in a sample of the Algerian desert of Wadi Souf

أ. قبنه السعيد

guebennasaid@gmail.com

جامعة غرداية

تاريخ الاستلام: 2019/05/13 تاريخ القبول للنشر: 2019/05/22

ملخص :

تحاول هذه الورقة الكشف عن تحدّي (إنسان سوف) للظروف الإيكولوجية الصعبة في صحراء العرق الشرقي الجزائرية ، بعد أن فرضت عليه العواصف الرملية الموسمية عزلة قسرية امتدّت لمئات السنين ، وحرمته من فرص التواصل مع العالم الخارجي.

وبين أيدينا نموذج مشرق –موضوع الدراسة– سنتعرّف من خلاله على دور الخبرة الشعبية في كسب رهان التنمية.

الكلمات المفتاحيّة : الفلاح ، سوف ، الرياح ، خبرة.

: Abstract
This paper attempts to reveal (the souf man) who will cope with the difficult ecological conditions in the Algerian Eastern Desert, where seasonal sand storms imposed forced isolation of hundreds .of years and denied him access to the outside world
In our hands is a bright model - the subject of the study - through which we will learn about the role of popular experience in .winning development
.Keywords: farmer, wind, experience, souf

تمهيد:

لأن الحياة مراحل ، فإن الإنسان مجبر على مواكبة قوانين الطبيعة ، فلا يمكن له أن يتجاوزها بأي حال من الأحوال حتى يستوفي هذه المراحل ، و تعد الخبرة الشعبية مرحلة من المراحل التي يمر بها المجتمع التقليدي في دورة الحياة ، ولهذا وجد سكان سوف أنفسهم محاصرين من قبل الطبيعة و التي فرضت عليهم حصارا محكما بالأتربة عرقل حركة التنمية المحلية وزاد من معاناتهم بعيد الاستقلال ، و لم تستطع الإمكانات القليلة المتاحة للسلطات المحلية و على رأسها مديرية الأشغال العمومية إيجاد حلول عمليّة لهذه المشكلة ، غير أن الفرد الصحراوي الذي عاش لمئات السنين على هذه الأرض كان قد اكتسب الخبرة الشعبية في التعامل مع هذه الطوارئ ، و هذا ما سنعرضه في هذا المقال من خلال دور الخبرة الشعبية الفلاحية في دفع عجلة التنمية في مواجهة الظروف الطبيعية القاسية ، و النموذج الذي بين أيدينا هو ولاية صحراوية انقطعت بها السبل و صار من غير الممكن تحمل وضع كارثي إنساني ، و حينما تعجز الآلة يكون الإنسان بديلا عنها .و قد أفضنا الحديث عن أحد أبناء هذه المنطقة الذين صنعوا معجزة نادرة في تحديهم لجبروت الطبيعة بعد معجزة الاستقلال ، إنه المجاهد الفلاح الهادي حشف

الرجل الذي دخل تاريخ المنطقة في قصة عشق مع الوطن لا تنتهي ، مستحقا بذلك لقب صاحب الجهادين.

و منطقة وادي سوف بالذات تكتسي خصوصية طبيعية لكونها تقع وسط بحر من الرمال يطلق عليه العرق الشرقي الكبير ، وظلت لمئات السنين معزولة عن العالم عدا الطرق التقليدية التي تمر عبرها القوافل تقطع فيافيها و قفارها في رحلة الآبار و العطش ، و قد تأثر الشعراء و الكتاب بهذا الفضاء الواسع فكانت الطبيعة جزء من كتاباتهم ونورد في هذا والمقام مأساة " غرود عالية" التي تناولتها أقلام الكتاب و حِيكت عنها الأساطير في صراع "الإنسان السوفي" مع اليأس الضياع ،ومنها رواية الكاتبة سامية مهدي و التي وردت فيها هذه الأبيات وهي من قصة حقيقية وقعت بأرض سوف :

غرود* عالية وفيها الموت جاتني لا صبت ناسي و لا عرب زارتني[1]

أجَلي تمتْ سِرْتْ للهْ و الخليقة اتلمّتْ الأرضْ الضحيحه كِيفْ عنيّ صمّتْ

جِيتْ ثايْره* كانْ الخشبْ نُطْحتْني

لا نْسيتها ولا هِيْ مْنامة ساهله انخرصْها كِذبْ مِنْ يْقولْ كِسوْتهْ نليسها

يْخُشْني الجهلْ وانْقولْ لازمْني

و من الكتاب المعاصرين كتب الصحفي و الأديب خليفة قعيد[2] روايته " فجر الغيطان"التي جسد فيها القيمة الإنسانية لمؤسسة الغوط و مدى تعلق الإنسان السوفي به ، مبينا فيها مخاطر العصرنة في ضياع هذا الإرث الحضاري و جاء في بعض فصولها " الغوط سيموت سيغرق في الرمال والماء سيزيده هذا الشتاء ماء فوق ماء الأرض ..حتى الرياح الهوجاء اعتادت أن تدفن كل مرة جزءا منه ..أمطار الخريف تفسد الكثير من العراجين الصغيرة النائمة و تذهب رياح الربيع بغبار الطلع العالق ببعضها"[3]

1–سوف الفضاء الجغرافي و التاريخي :

أ–الفضاء الجغرافي : وادي سوف منطقة جغرافية واسعة تمتد على أطراف ولايات تبسة و خنشلة وبسكرة و ورقلة ضمن ما يعرف بالعرق الشرقي الكبير من

القطر الجزائري ، يحدها شمالا نقرين وفركان و الزاب ، و شرقا الجريد التونسي وما والاه جنوبا ، بينما يحدها جنوبا واحات غدامس الليبية في حين من ناحية الغرب ورقلة ووادي ريغ تقدر مساحتها الإجمالية 44586كلم مربع و الراجح أن هذه التقديرات مبالغ فيها[4] ، بينما تنحصر فلكيا ما بين خطي عرض 31و34 درجة شمالا ، و ما بين خطي طول 6و 8 شرقا ، مُشكّلة بذلك كتلة رملية هائلة تمتد من تخوم ورقلة إلى أهداب غدامس و لهذا يطلق عليها صحراء العرق الشرقي الكبير[5] .

و أما تضاريسيا فسوف هي بساط مفروش من الرمل يشكل تقريبا ثلاثة أرباع المساحة العامة ، وهو رمل ناعم تميل حبيباته إلى الصفرة بأحجام متفاوتة، بينما تشكل هذه الرمال ارتفاعات متفاوتة على شكل أهلّة تسمى : "عِلْب ، عِرق، عامِي ، حَقف ، ملْوح ، و كُدية" ..مما يجعل الرمال تصنع منها أشكالا تضاريسية متباينة منها :

-**الكثبان الرملية** : و أغلبها يتواجد بجنوب المنطقة كنواحي إعميش و ما جاورها ، وتتميز بالارتفاع نسبيا قد يصل في بعض الأحيان إلى خمسين قدما ، و تأخذ شكلا دائريا بسبب الصراع بين الرياح القبلية و الرياح الشمالية الشرقية ويسميها أهل المنطقة السيوف مفرد سيف ربما لأنها تشبه شكل السيف.

-**الصحن** : و هو فضاء مسطح بين الكثبان الرملية و تربته خشنة و يستغله أهل سوف عادة في زراعة النخيل لقرب المياه الجوفية فيه من سطح الأرض و له مكانة خاصة في قلوبهم ، كما تتخلله من حين إلى آخر بعض الأودية الكاذبة ، و يعد الصحن من أخفض المناطق في العرق الشرقي عن البحر فقد يصل إلى 25 مترا عن سطح البحر ..و ربما هذا هو السبب الذي شجع فرنسا إبان الحكم الاستعماري على التفكير في إنجاز بحيرة الجنوب بنقل مياه البحر من خليج قابس التونسي على مسافة تقل عن الثلاثمائة كلمتر إلى أرض سوف[6]

-**الحمادات الرملية** : و تمتد عبر المنطقة الشمالية و هي عبارة عن طبقات حجرية تكسوها طبقة من الرمل الناعم في حين أن هذه الطبقات تتشكل من حجارة بلورية مختلفة الأحجام و الأشكال خليط من التراب و الجبس و حامض الكلس والفحم و الماء .

في حين يسود منطقة سوف المناخ الصحراوي الجاف فقد تصل درجة الحرارة أحيانا إلى 50 درجة مئوية بينما لا يتجاوز معدلها 34 درجة ، و أما في الشتاء فيكون متوسطها في حدود 10 درجات مئوية و تتميز بقلة أمطارها و إن هطلت أضرت بالمباني و التمور مثلما حدث في أمطار 1969 الطوفانية والتي سميت بـ"عام النكبة"[7] ..و قد يحلو للأهالي التأريخ لمواليدهم بها .

و ينمو فوق الطبقة الرملية أنواع عديدة من النباتات و الحشائش منها الرعوية مثل : الحلفاء والبشنة و الصفار وبوقريبة و القريطفة و اللبين و النتين و و ذيل الفار و سن العجوز ، وبزول النعجة، والحميض ، و كرشة لرنب ، والخبيز، و ساق الغراب ، و النجم ، و مغزل اليتيمة ، و السويدة .

و بعض النباتات الأخرى المفيدة مثل : الشيح ،و البسباس،، و عنب الذيب ، والحرمل ، والزعتر و ، العرعار و ، البصيل ، و الفقاع ، و الترثوث و ، النعناع ، وغيرها من الأعشاب الطبية بالإضافة بعض مصادر الحطب كالرتم و الأزال والأرطى ، و العلندي ، و الزيتاء ، والطرفاء.

كما يعيش بصحراء سوف كثير من الحيوانات مثل الغزال و و الذئب والفنك و الضبع والقنفذ إلى جانب الحيوانات الداجنة مثل الماعز و الضأن و الجمل والحمار و البغل ، والحصان والكلب ..و الطيور بأنواعها كالبوم والغراب والعقاب و

المكاء و الحمام البري منه والقمري ، ومن الحشرات و الزواحف نجد العقرب والأفعى و الحنش والشرشمان و الجراد والخنفساء[8]..الخ.

ب–الفضاء التاريخي : .

–**أصل التسمية** : لقد تضاربت الروايات و الآراء حول أصل التسمية فقد قيل أنه نسبة إلى رجل صالح يدعى " ذا سوف" و منهم من إلى لباسهم القديم " الصوف" ثم لحنت ، بينما يرى بعض الباحثين أنها في الأصل كلمة " سوف"أو "أسوف" الأمازيغية و تنطق بالقبائلية العصرية " أسيف" و تعني الأراضي المنخفضة ، فأدغمت كلمة وادي مع كلمة سوف فصارت وادي سوف ، والمؤكد أن تسمية " وادي سوف" قديمة و لا يعرف مصدرها غير أن أرجح الأقوال تشير إلى الكثبان الرملية التي تغطي أغلب مساحاتها و التي يسميها الأهالي " السيوف" جمع سيف بكسر السين ثم حذفت لكثرة الاستعمال تخفيفا فأصبحت تطلق " سوف" .في حين أن كلمة وادي تنسب إلى وادي الجردانية على الحدود مع أرض النمامشة و كان وادا ثم نضب ماؤه[9]

–**أصل السكان** :يبدو من خلال الأبحاث الأثرية و الشواهد التاريخية أن منطقة سوف كانت عامرة بالسكان قبل مجيء العرب و يرى الباحث إبراهيم مياسي أن إعمار سوف مر بمراحل تاريخية عديدة كالفترة الأمازيغية و الفترة الفنيقية ثم الرومان و الوندال ثم عودة الروم البيزنطيين قبيل الفتح الإسلامي في عهد الصحابن8ي عقبة بن نافع الفهري كما أن أول دولة جزائرية مستقلة وهي الدولة الرستمية الأباضية التي ظهرت سنة 758مو التي وصل نفوذها إلى أرض سوف وتعد قبيلة عدوان أولى القبائل التي سكنت سوف بعد الفتح الإسلامي مباشرة[10] .

ويلاحظ أن العروش و القبائل التي سكنت سوف بعد هذه الفترات أنها كانت شديدة التشابك و الاختلاط نتيجة التزاوج و التساكن و التعايش و التآلف غير

أن أغلب الباحثين يرون أن التركيبة السكانية لمجتمع سوف اليوم تعود إلى قبيلتين عظيمتين وهما : قبيلتا طرود وسعود وكلاهما من أصول يمنية و أمّا باقي العروش فالأرجح أنها التحقت بهما في هجرات متتالية كقبيلة الربايع و التي قدمت إلى سوق خلال القرن الثامن عشر[11] ،

2-الزوابع الرملية في سوف .

ما يميز سوف طبيعيا ظاهرة هبوب الرياح و التي كانت الهاجس الأكبر الذي يشغل تفكير السوافة طوال السنة ، و هذه الظاهرة التي ارتبطت ارتباطا كبيرا بحياتهم سيما مع مؤسسة " الغوط"[12] التي تعتبر مصدر رزقهم الوحيد و ملاذهم الآمن أوقات المجاعات ، و الكوارث ، غير أن هذه الرياح تعكر كثيرا صفو السكان فيلجأون للخبر الشعبية لمقاومة جبروتها و يمكن رصد

أنواع هذه الرياح :

أ-**رياح السموم**: و يسميها السوافة الشهيلي أو القبلي و يكثر هبوبها في فصل الصيف و تأتي من الجنوب و تدوم أحيانا أسبوعا كاملا و تكون أكثر حدة في النهار بحيث تكون حارقة يصل ضررها إلى التمور فتصيبها بالتلف " القُنُطْ" و يلجأ السكان هروبا منها إلى تجاويف في أسفل الغوط تسمى في الغيطان الحجرية " القنارية" إلا أنها لا تدفن هذه الغيطان. لكونها تهبّ بطريقة لولبية .

ب-رياح الصبا: و يسمونها رياح البحري وتهب من جهة (خليج قابس) بتونس وهي ريح منعشة وأكثر هبوبها أوقات السحر غير أنها تتسبب في دفن النخيل وخاصة فسائل النخيل المغروسة حديثا ، وهو ما يقلق الفلاحين ، و يجعلهم يهتمون عند هبوبها فيسارعون إلى تفقد قواطيعهم وزروبهم ، و بقدر ما يستبشرون لقدومها لتلطيف الجو ، بقدر ما يتأسفون لما تفعلهم بغيطانهم.

ج–رياح الظهراوي و الغربي : و هي رياح عنيفة كاسحة مصحوبة بالأتربة و الغبار وتتسبب في انعدام الرؤيا أثناء سير القوافل ، و قد تضعف أمامها الخبرة الشعبية لكونها مفاجئة و تؤدي إلى تراكم الأتربة في مداخل الغيطان و التي عادة ما تتخذ من الجهة الغربية للغوط .

بالإضافة إلى هذه الأنواع من الرياح هناك الزوابع الرملية و يطلق عليها أهل سوف برياح الربيع ، ورياح المايوات ..و هي الرياح التي تتسبب عادة في قطع الطرق الرئيسية كالمنافذ الثلاثة التاريخية لسوف ، طلعة الدبيلة باتجاه تبسة و طريق الحمراية بإتجاه بسكرة و طلعة العضل بإتجاه ورقلة .

3–الخبرة الشعبية في وجه جبروت الطبيعة وحكاية الفلاح الذي قهرها.

أ– **الهادي الفلاح صاحب الجهادين** : ذاع صيته بين أهالي المقرن بلقب "الهادي الفلاح" ، الرجل الذي قهر الطبيعة في أوج عنفوانها ، و ذهبت حكايته مثلا في ربوع سوف بعد أن كانت الرياح تتسبب في تعطيل حركة التنمية بمنطقة بهذه المنطقة وأمام الإهمال التي كان يطال هذه المنطقة و هي تابعة إداريا لولاية بسكرة .

ولد الهادي بن علي حشف و تيوة عائشة في غضون سنة 1922م في عرش العزازلة بتقييد الدبيلة من أسرة متواضعة مغمورة ، ذاق طعم اليتم و هو في العاشرة من عمره فأخته أمه عند أخواله بالرقيبة ، ولم يلبث أن توفيت أمها هي الأخرى ، فغادر ربوع أخواله مكرها بسبب شظف العيش والفقر المدقع آنذاك و حط الرحال بالمقرن حيث تبنته عائلة " معامرة عثمان" الميسورة الحال فمكث في حماها بضع سنين يمارس حرفة الفلاحة التقليدية التي اكتسبها من احتكاكه مع فلاحي قمار و الرقيبة و ورماس ، و بالمقرن تعرف على بعض الأصدقاء من كرام الرجال من أمثال كروش محمد الصالح و

حواس محمود و غرايسة عمار كما زوجه أحد المحسنين و يُسمّى "الوِرْ" من إحدى بنات العرش..

عند اشتداد لهيب الثورة في سوف ومع اكتشاف خلايا المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني والتنكيل بأصحابها في أفريل الأسود سنة 1957 كثفت السلطات الاستعمارية من رقابتها على الغيطان المحيطة بالمقرن وهي المكان الآمن للمجاهدين ، وحدث أن كان المجاهد الهادي الفلاح في ناحية " لضاية" شمال المقرن منهمك في عمله مع أصحابه إذ بطائرة العدو تباغتهم بوابل من الرصاص فأصيب في الحادث زميله شيخة بلقاسم البشير المدعو "الخال" في حين فرّ الهادي تحت جنح الظلام واختبأ داخل "زنبيل" موجود بقنارية[13]* أحد الغيطان ثم حث الخطى ليلا إلى أن وصل هود "شكيمة مسعود" حيث قضى ليلته و لم يستطع الانتقال إلى المقرن بسبب المخابرات وعيون الخونة المنتشرة في كل مكان ،و مع خيوط الفجر الأولى هرب إلى تونس حيث مكث في الجريد بمدينة توزر و في أسواقها يمارس بعض المهن البسيطة إلى أن اهتدى إلى بعض المجاهدين بمركز التجميع التابع لجيش التحرير الوطني والذي وجّهه مباشرة إلى مركز التحرير " قرن حلفاية" بالتراب التونسي وهو مقر القائدين " سعد قُصّة" قائد كتيبة من تبسة و معمر فارس قائد كتيبة من الشريعة ، واللتان كانتا تحملان رقم 75 بتعداد من 600 مجاهد .. و هناك تعرف على بعض "المجاهدين السّوافة" منهم الإخوة قزي العيد و أحمد و الهادي و كلهم من إعميش البياضة بالإضافة إلى المجاهد مسعودي خليفة بن البشير من بلدة الحمادين ، و كان انضمامه رسميا إلى الثورة سنة 1960 ، حيث خاض عدة معارك مع إخوانه المجاهدين بنواحي الماء الأبيض والكويف إلى غاية جبال الشريعة بتبسة و قد أبلى فيها البلاء الحسن ، ولم يتسنَ له زيارة أهله منذ غادر المقرن إلا مرة

واحدة خفية عن أعين العدو وعملائه ، و طول هذه الفترة كانت الجبهة قد تكفلت بالإنفاق على أسرته المعدمة من خلال منحة ترسلها لهم بانتظام بواسطة أحد المسبّلين..

وبعد إعلان توقيف القتال و الشروع في تدابير الاستقلال أرسل إلى مركز باتنة ثكنة (لا راك) ثم بعدها إلى المسيلة حيث مكث مدة قصيرة و تم إعفاؤه بعدها بعد تدهور حالته الصحية من جراء الإجهاد الكبير الذي تعرض له ليحال على التقاعد بصفة رسمية و تم الاعتراف له بالعضوية في جيش التحرير من قبل وزارة المجاهدين في 25 ديسمبر سنة 1967 تحت رقم 4660..واختار جوار ربه في 26شهر الجهاد نوفمبر سنة 1999 رحمه الله وطيب ثراه.

ب- **الهادي الفلاح من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر** : بعيد الاستقلال ظلت منطقة وادي سوف تعيش عزلة قسرية بسبب عوامل الطبيعية القاسية من جهة ، و أمام نقص الإمكانات المادية و التقنية من جهة أخرى ظلت كل الطرق الرئيسة شبه مقطوعة سيما في فترة الرياح الموسمية و الزوابع الرملية كالبحري و الغربي ، و أمام هذه المعضلة استنفذت مديرية الأشغال العمومية كل الحلول الممكنة لفك العزلة عن الولاية الناشئة ، و لم يعد هناك خيار أمامها إلا اللجوء إلى الخبرة الشعبية و الاستنجاد بالوسائل التقليدية و العرفية و أعني بها الزروب و تتبع حركة الرياح باستعمال مصدات الرياح و عنها يقول الباحث أحمد زغب "هي حواجز توضع في إتجاه حركة الرياح السائدة لحماية النخيل أو البيوت من الردم بكثافة الرمال"[14] ، فهذه المصدات –إذن- هي عبارة عن حواجز و موانع تقليدية توفر الحماية للمزروعات و البيوت من زحف الرمال و يميز الباحث أحمد زغب بين ثلاثة أنواع من المصدات :

أ-الزروب : و يستعمل فيها جريد النخل و هو الأكثر شيوعا و يتراوح طوله بين 70 سنتمرا والمتر ، ويغرس في الرمال اللينة و هو كان يستعمله الهادي الفلاح

في فك الطرق المقطوعة وتعد الزروب مكانا لتجميع التراب و منعه من الانسياب إلى الأماكن المنخفضة.[15]

ب–الذرى : وهو وضع الجريد بشكل أفقي على الأرض في اتجاه حركة الرياح السائدة و هي تساعد الفلاح على تتبع حركة الرياح خاصة في المناطق المنخفضة ، و يمكنه أن يغيرها من حين لآخر فهي مصدّ متنقل[16]

ج–القيطوعة : يقول عنها الباحث أحمد زغب أنها " حواجز من الطين أو الحجارة الهشة أو من بقايا معدنية كالعلب و الصفيح ، توضع في وجه الرياح لصدها عن المباني أو الطرق المعبدة"[17] والمستخلص من هذا أن القيطوعة تختلف عن الزورب والذرى لكون القيطوعة من بقايا صناعية بينما الأولتان من بقايا طبيعية غير أن لهما نفس الوظيفة وهي صد الرياح و التحكم في حركتها فكل شيء متاح لمواجهة غضب الطبيعة.

و بهذه التقنية التقليدية فكرت مديرية الأشغال العمومية في الخروج من هذا الكابوسالذي عرقل حركة التنمية بالولاية ، فوقع اختيارها على الفلاح المجاهد الهادي حشف من المقرن و قد دلّهم عليه المهندس التجاني هارون ، فما كان من المديرية إلا أن قلدته منصب رئيس العمال و في نفس الوقت حارسا لعتاد المؤسسة و كانت البداية في سنة 1975 بحيث انطلقت هذه الفرقة تحت إشراف مباشر من المجاهد الهادي الفلاح و بإمكانات جد متواضعة تدعمهم جرافة واحدة و مجموعة من السواعد المخلصة في مباشرة عملها متنقلة من مكان إلى آخر فقامت بفك العزلة عن العديد من الطرق الرئيسية بولاية الوادي ، و أظهرت خبرة و احترافية في إزاحة الأتربة عن هذه الطرق بفضل تقنية المصدات الطبيعية التي برع فيها الهادي الفلاح ، و الذي كان يعمل بنشاط وحيوية و دون ملل أو كلل مما جعل الجهود تكلل بالنجاح فنشطت حركة التنقلات من وإلى الوادي ، و منها الحركة التجارية و نقل البضائع عبر الطرق الرئيسية ، وبفضل

خبرته تم فتح العديد من الطرق الفرعية منها طريق حاسي خليفة أم الزبد وطريق المقرن سيدي عون ، كما كان عدلا في تقسيم الأراضي و تحديد ومعالمها بين العائلات و العروش مما كان له الفضل في فض كثير من النزاعات المناوشات بين الناس ، و أطفأ بخبرته فتنا دامت لعشرات السنين ،و ظل محل احترام وتقدير من جميع المواطنين .

و نظير هذه الأعمال الجليلة نال المجاهد الهادي حشف تكريما آخرا من قبل سلطات البلاد اعترافا بما قدمه للوطن من تضحيات ، و بعد وفاته أطلق على اسمه معهد التكوين المهني بالمقرن . وبوفاته طويت صفحة من الخبرة الشعبية في مواجهة قساوة الطبيعة و قد قيل " إذا مات مسنّ فإن مكتبة قد احترقت" ، و لهذا فقدت سوف مجاهدا فذا وفلاحا محترفا ظل عطاؤه يتدفق مدرارا في سبيل وطنه إلى آخر يوم من حياته .

خاتمة :

تطرقنا في هذه الورقة إلى جانب من دور الخبرة الشعبية في مواجهة جبروت الطبيعة في الصحراء، وكنا عرضنا نموذجا منها في منطقة وادي سوف وهي المنطقة التي حكمت عليها الطبيعة القاسية بالعزلة طيلة فترات تاريخية كبيرة ، بحيث ظل إنسان هذه المنطقة عرضة للتهميش و النسيان بسبب عوامل الطبيعة و أهمها الرياح الهوجاء التي كانت تهب عليها من كل ناحية ، ولا أدلّ على ذلك تلك القصص الدرامية التي حفل بها المخيال الشعبي السوفي ،ومنها تلك القصة الشهيرة " غرود عالية " التي نسجت حولها الأساطير ، غير أن الواقع فرض على أهل سوف البحث عن حلول لمعضلتهم مع عامل الرياح .

ومن الحلول الناجعة التي مكنتهم من فك العزلة عن القرى والتجمعات السكانية المتناثرة فوق الرمال أنهم وظفوا الخبرة الشعبية المتمثلة في تتبع حركة الرياح ودراسة المنظومة الزمنية لتحركاتها ، وكان من الطبيعي أن يتعلموا من الطبيعة نفسها من

خلال الملاحظة والتجربة ، وربما يدخل هذا في بعض علومهم الفطرية كالقيافة و الريافة ، و تعرف هذه التقنية المبتكرة بتقنية مصدّات الرياح بحيث تُستعمل فيها الوسائل المحلية كجريد النخيل و بقايا حيوانية ونباتية.

كانت مخارج الولاية مع التقسيم الإداري الجديد عرضة للدفن بفعل تراكم الأتربة ، وعجزت التقنية الحديثة عن إيجاد الحلول الناجعة لهذه المشكلة فأوكلت المهمة لأحد فلاحي منطقة المقرن و يدعى الهادي حشف بن علي الذي بادر مع فرقة من العمّال المتحمّسين إلى مباشرة العمل عبر الطرق الرئيسة بالولاية بداية ، و لم تمض شهور قليلة حتى بدأت النتائج تظهر عيانا ، و تم فتح المزيد منها عبر مسارب الولاية المختلفة ، فنشطت حركة المرور و التجارة ، وعرف "السوافة" فضل هذا الرجل المبدع عليهم فكرّموه عدة مرات ،وزادوه وساما على أوسمته وهو المجاهد الذي نال شرف الجهاد أيام حرب التحرير .

الملاحق :

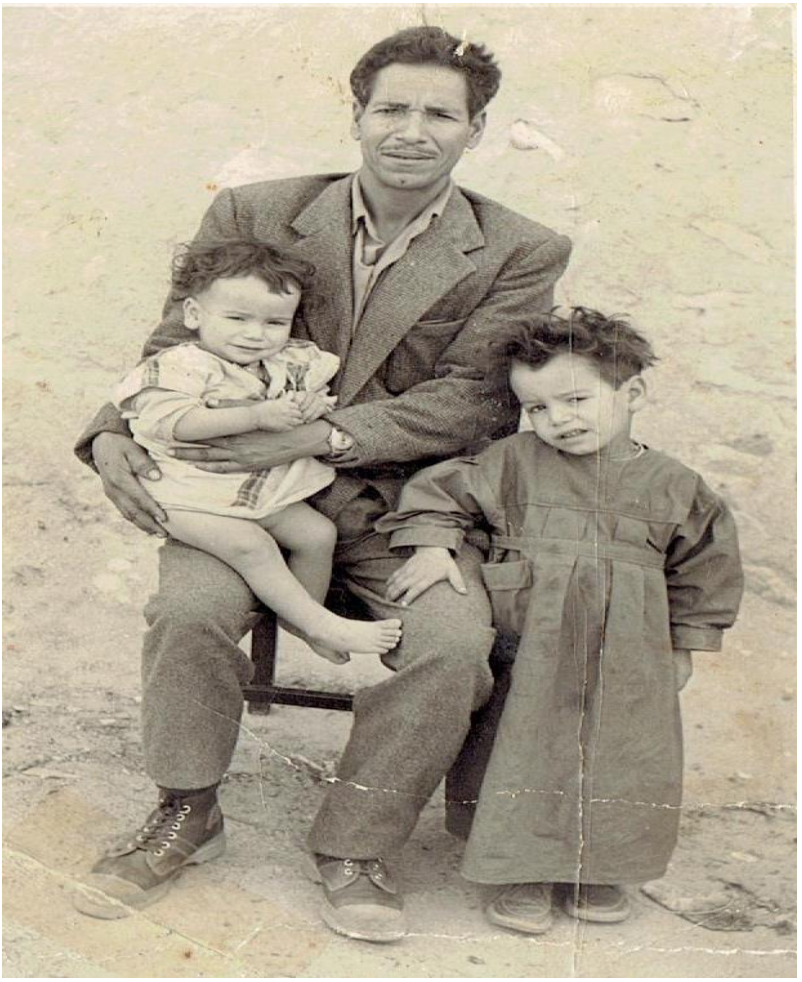

ملحق رقم 1: المجاهد الهادي الفلاح في زيارة سرية لعائلته الفقيرة بالمقرن سنة 1961

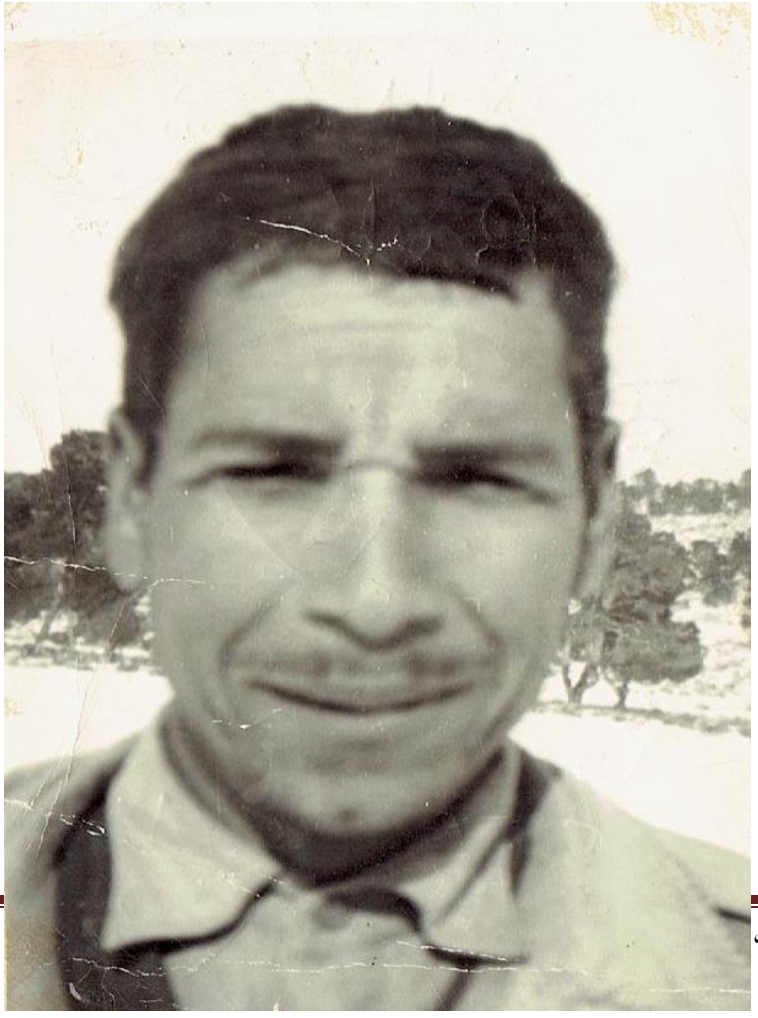

ملحق رقم 2 : صورة للمجاهد الهادي حشف في ثكنةلا فراك بباتنة سنة 1962

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE LA DEFENSE NATIONALE

COMMISSION SPECIALE DE RECONNAISSANCE DE LA QUALITE DE MEMBRE DE L'A.L.N.

N° DU DOSSIER
Provisoire : 00593
Officiel : 4660

Réf. N° : 4660/CS/ANP

ALGER, le 30 DECEMBRE 1967

DECISION DE LA COMMISSION

Monsieur : HACHAF El-Hadi B/ Ali
Né en 1922

Vu la décision de la Commission Spéciale de l'A.N.P. en date du : 25 DECEMBRE 1967
nous vous informons que la qualité de membre de l'Armée de Libération Nationale vous est reconnue, et ce conformément à l'article 11 du décret 66-37 du 2-2-1966.

La Commission Spéciale de Reconnaissance de la Qualité de Membre de l'A.L.N.
A.N.P.

Signé : Taleb Tayeb

ADRESSE :
HACHAF EL-HADI EL-MAGRENE PAR EL-OUED
O A S I S

ملحق رقم 3 : قرار العضوية في جيش التحرير الوطني تحت رقم : 4460

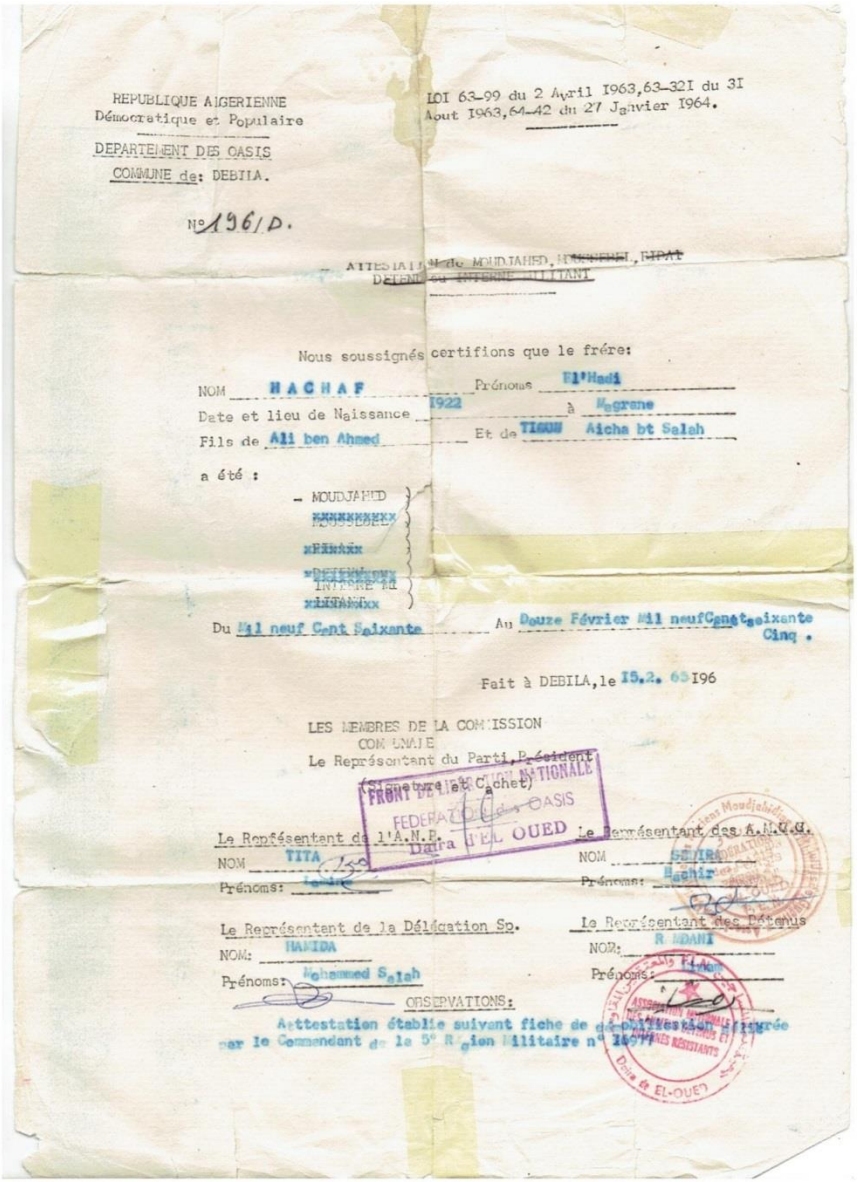

REPUBLIQUE ALGERIENNE
Démocratique et Populaire

DEPARTEMENT DES OASIS
COMMUNE de: DEBILA.

N°196/D.

LOI 63-99 du 2 Avril 1963,63-321 du 31 Août 1963,64-42 du 27 Janvier 1964.

ATTESTATION de MOUDJAHED, [illegible], EPAT
DETENU ou INTERNE ou ITTANT

Nous soussignés certifions que le frère:

NOM HACHAF Prénoms El'Hadi
Date et lieu de Naissance 1922 à Megrane
Fils de Ali ben Ahmed Et de TIGUI Aicha bt Saleh
a été :

- MOUDJAHED
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- INTERNE EN [illegible]

Du Mil neuf Cent Soixante Au Douze Février Mil neufCentSoixante Cinq .

Fait à DEBILA, le 15.2. 65 I96

LES MEMBRES DE LA COMMISSION
COMMUNALE
Le Représentant du Parti, Président
(Signature et Cachet)

FRONT DE LIBERATION NATIONALE
FEDERATION des OASIS
Daïra d'EL OUED

Le Représentant de l'A.N.P.
NOM TITA
Prénoms: [illegible]

Le Représentant des A.U.V.G.
NOM SGUIR
Prénoms: Bachir

Le Représentant de la Délégation Sp.
NOM: HAMIDA
Prénoms: Mohammed Saïah

Le Représentant des Détenus
NOM: R MDANI
Prénoms: [illegible]

OBSERVATIONS:
Attestation établie suivant fiche de déclaration [illegible]
par le Commandant de la 5e Région Militaire n° 1607

ASSOCIATION NATIONALE DES ANCIENS COMBATTANTS ET ANCIENS RESISTANTS
Daïra de EL-OUED

ملحق رقم 4 : وثيقة مجاهد في صفوف جيش التحرير الوطني باسم المجاهد حشف الهادي

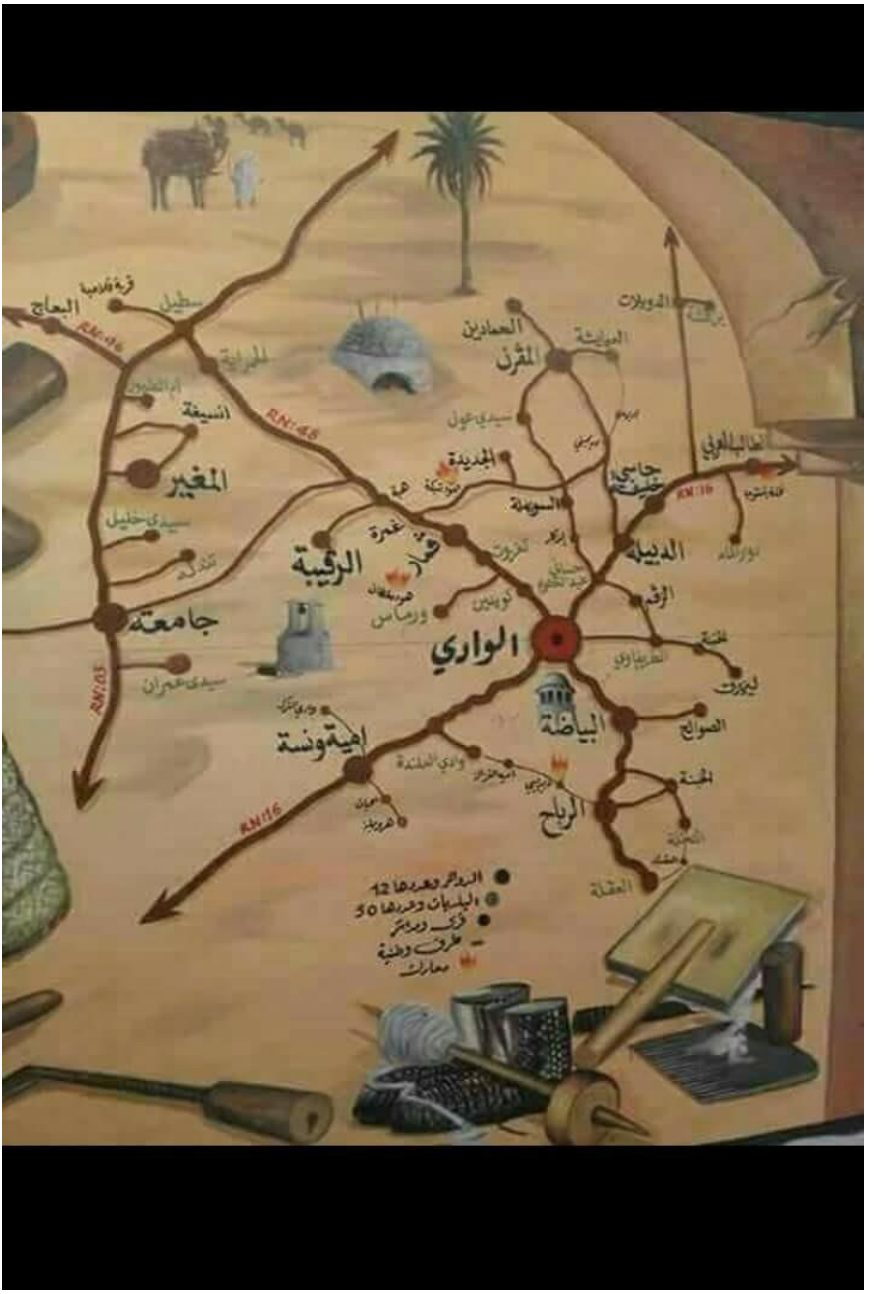
البعاج
سطيل
المغير
جامعة
الرقيبة
الوادي
الدبيلة
البياضة
الرباح
العقلة
الصوالح
المقرن
العمادين
الجديدة
السوهلة
تغزوت
الزقم
تقرين
ورماس
تغزوت
سيدي خليل
سيدي عمران
RN:48
RN:16
RN:03

ملحق رقم 5: خريطة ولاية الوادي و تظهر فيها شبكة الطرق التقليدية.

الهوامش

*[1]غرود :مفردها غرد و هو الكثيب العالي من الرمل (السِّيفْ)

[1]سامية مهدي ، رواية غرود عالية ، من إصدارات مديرية الثقافة لولاية الوادي ، الوادي ، ط1 ، ص: 55.

*ثايرة : أرادت القيام ، في لهجة أهل سوف ثار بمعنى : قام.

[2]خليفة قعيد كاتب وصحفي جزائري ولد سنة 1961 ببلدة الرقيبة بالوادي ، مدير مكتب جريدة الخبر بالجنوب الجزائري له رواية " فجر الغيطان" و في النقد " وخز الإبر وكلام في الصحافة"

[3]خليفة قعيد ، رواية فجر الغيطان ، دار سخري للطباعة و النشر ،ط1، 2011 ، الوادي ، ص: 15.

[4]ينظر : محمد السعيد ديدي ، وادي سوف كنوز من الجزائر ،ج1، مكتبة الريحان ،2007 ، الوادي.ص: ص1.

[5]ينظر : محمد ساكر ، العادات و التقاليد في وادي سوف ،مديرية الثقافة لولاية الوادي ، ط1، 2016،الوادي ص : 15.

[6]مشروع غامض فكرت فيه السلطات الاستعمارية الفرنسية سنة 1959 قصد تغيير المناخ في سوف غير أنه فشل مع احتدام لهيب الثورة و تداعيات اكتشاف النفط بمنطقة حاسي مسعود المجاورة لأرض سوف.

[7] وقعت في خريف 1969 بحيث تهاطلت الأمطار لمدة أسبوع ليلا نهارا سيما على المنطقة الشمالية من سوف، و تسببت في خسائر فادحة في المباني و النخيل و شردت الأهالي و تحولت البلدات إلى ما يشبه البحيرة العائمة ، ووصل منسوب المياه في الأزقة و المنخفضات إلى عدة أمتار و لم تشهد سوف كارثة طبيعية مثلها عدا الأوبئة .(قبنه العيد 80 سنة ساكن بالمقرن يوم 2018/04/20)

[8]ينظر : ابراهيم بن الساسي العوامر ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، تع : الجيلاني بن ابراهيم العوامر ، الدار التونسية للنشر (تونس) و الشركة الجزائرية للنشر و التوريع ، الجزائر 1977 ، ص : 79.

[9]ينظر : المرجع نفسه. ص : 90.

[10]ينظر ابراهيم مياسي ،الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة ،الجزائر، 2005.، ص: 110،111.

[11]ينظر : بن سالم بلهادف ، سوف تاريخ وحضارة ،مطبعة الوليد، الجزائر2007، ص: 15

[12]ذكر الفراهيدي في قاموس العين أن الغوط : الغوطة موضع بالشام كثير الماء و الشجر و الغوطة مدينة دمشق، و الغائط المطمئن من الارض ويجمع على غيطان و أغواط و من هنا جاءت التسمية لكل منخفض من الأرض به نخيل يسمى " غوط" ، و هذه التسمية تشمل المناطق الجنوبية من سوف بينما يسميه أصحاب المناطق الشمالية كالمقرن و حاسي خليفة و الزقم " الهود" .

*القناريّة : تجويف في جانب جدار الغوط (الكاف)هي أشبه بالكهف في المناطق الجبلية إلا أنها غير عميقة ، يدخر فيها الإنسان السوفي خضره التي يجنيها من حقله صيفا كالبقطين و الثوم كما يستعملها للنوم عند القيلولة هروبا من الحرّ.

[14]أحمد زغب ، الفلكلور المنهج النظرية التطبيق ،دار هومة ، الجزائر ، 2015 ، ص:221.

[15]ينظر المرجع نفسه ص : 222.

[16]ينظر المرجع نفسه ، ص : 222

[17]أحمد زغب ، نفس المرجع ، ص : 223.

قائمة المراجع و المصادر:

1- بلهادف ، بن سالم ،سوف تاريخ وحضارة ، مطبعة الوليد، الجزائر2007.

2- زغب ، أحمد ،الفلكلور المنهج النظرية التطبيق ،دارهومة، الجزائر، 2015 .

3- ديدي ، محمد السعيد ، وادي سوف كنوز من الجزائر،ج1،مكتبة الريحان،2007 ،الوادي.

4- ساكر ، محمد ، العادات والتقاليد في وادي سوف،مديرية الثقافة لولاية الوادي،ط1، 2016، الوادي.

5- العوامر ، إبراهيم بن الساسي ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،تع : الجيلاني بن ابراهيم العوامر،الدار التونسية للنشر (تونس) والشركة الجزائرية للنشر والتوريع ،الجزائر 1977 .

6- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين،تحقيق مهدي المخزومي،إبراهيم السامرائي،دار و مكتبة الهلال،د.ط،ج3

7- قعيد ، خليفة ، خليفة قعيد ،رواية فجر الغيطان ،مطبعة سخري،ط1،الوادي 2011.

8- مهدي ، سامية ،رواية غرود عالية،من إصدارات مديرية الثقافة لولايةالوادي،ط1،الوادي، 2016.

9- مياسي ، إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934،دارهومة،الجزائر، 2005.

–الرواة : قبنه العيد ، 80 سنة ، يحفظ القرآن و الشعر الشعبي "المديح التجاني وغيره" ، يقيم بالمقرن ، 10أكتوبر 2016.